# المحاضرة 10: قصيدة الأزمة
# (الشعر المتعلق بفترة التسعينيات)

## 1-مفهوم الأزمة:

**أ-لغة:**إذا أردنا أن نضبط مفهوما للأزمة فعلينا الرجوع إلى المعاجم لتحديد مفهومها لغويا فقد ورد في لسان العرب: "**أَزَمَةٌ: الأَزْمُ أَزْمَةٌ** للسنة (...) وكذلك **مَأْزَمُ** العيش فكل مضيق **مَأْزَمُ، المَأْزَمُ:** كل طريق ضيق بين جبلين"[1]. وهي معانٍ بين صعوبة العيش والضيق. وورد في أساس البلاغة: "**أَزِمَ** الفرس على فأس اللِّجام: عض عليه وأمسكه (...) رجل **أَزُومٌ:** قليل الرزء من الطعام ومن المجاز: **أَزِمَ** الدهر علينا **وأَزْمَتُنَا أَزْمَةٌ،** وسنة **آزِمَةٌ و أَزُومَةٌ** وسنون **أَوَازِمُ؛** أصابتهم **أَزْمَةٌ** وتتابعت عليهم **الأَزَمَاتُ**"[2]. بمعنى الصِّعاب التي تتوالى على الإنسان من شدة الدهر وقسوته. وفي قاموس المعجم الوسيط : "**الأَزْمَةُ:** الشدة والقحط جمعها **أَوَازِمُ، الأَزَمَةُ:** الضيق والشدة، يقال **أَزَمَةٌ** سياسية، **أَزَمَةٌ** مالية، **أَزَمَةٌ** مرضية: القحط والحمية"[3]. فهي إذن المِحنُ التي تنزل بمجال ما أو شخص ما.

تتفق جل هذه المعاجم على أن الأزمة مرادف للشدة والضيق الذي ينزل بقوم جراء حصول أمر جلل. ويذهب الناقد محمد بنيس إلى القول أن "السياج الدلالي لكلمة الأزمة في العربية يتلاءم مع سياجها الدلالي في اللغة الفرنسية من حيث القحط والشدة إلا أنه في العربية محمَّلٌ بدلالة الحالة الانتقالية والعابرة أيضا"[4].

**ب-اصطلاحا:** تعد الأزمة في عمومها ظرفا انتقاليا يتسم باللااستقرار، يمثل نقطة تَحَوُّلْ تتحدد في ضوؤها أحداث المستقبل. ولا تنحصر الأزمة في مجال معين، ففي السياسة يقال أَزْمَةٌ وزارية (crise ministerielle) وتشير إلى "الحادث الذي يؤدي إلى سقوط الحكومة وإلى فترة استقالتها دون تعيين بديل عنها: فترة تتميز بمحاولات

تشكيل حكومة جديدة، وبمساومات بين المجموعات السياسية ورجالها من أجل تكوين أغلبية نيابية جديدة"[5].

**2-القصيدة انعكاس للأزمة:**

إن قصيدة الأزمة في الشعر الجزائري المعاصر جاءت تعبيرا عن الوضع السياسي الذي وصلت إليه الجزائر بين سنوات 1990-2000 وانعكاس صراع الأحزاب والسلطة على الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمواطنين.

لقد لجأ الشعراء الجزائريون إلى الشعر كوسيلة فنية للتعبير عن الواقع المزري للنخبة الجزائرية ومختلف فئات المجتمع جرَّاء مظاهر القتل والطغيان التي ميزت المرحلة، فأصبح التعبير عن الاحتجاج ضد التعسف والقمع "ظاهرة من مظاهر المتن الشعري المعاصر، تكاد لا تخلو منها مجموعة شعرية واحدة، لا سيما في شعر الجيل الجديد، ولا شك أن هذا الجيل الجديد، يعلن باستمرار، أن زماننا هو زمان العنف والاستبداد والجور والظلم ومصادرة الرأي"[6].

في خضم هذه الحركية الصراعية، كان على الشاعر/المثقف الجزائري أن يتخذ موقفا واضحا، إما أن يبقى تحت جناح السلطة رغم حجم التناقضات الصادرة عنها، وإما أن ينأى بنفسه عنها، ليتم تصنيفه في مصاف العدو، "حتى أصبح على الكاتب الجزائري أن يعي وضعه الثقافي في درجة عالية من التوتر ذو الخصوصية. إنه يشعر بالعزلة والمرارة التي تتولد عنها، لذا فهو يحاول أن ينتج أعمالا تتميز بالاختلاف والتمرد"[7]، فخصائص القصيدة من خصائص العصر.

**3-خصائص نصوص الأزمة:**

- ✓ **طغيان الأدب الإعلامي** على أدب تحليل الأزمة، سواء في الزوايا الفكرية والاجتماعية، وإن برزت بعض الأعمال التي عالجت أسئلة راهن الأزمة[8].
- ✓ **القلق**، الناتج عن ارتباك الأوضاع وتداخلها، "إن القلق والحيرة بسبب رحيل الأشياء الجميلة يسيطران على فكر الشاعر الجزائري المعاصر وروحه ليتحول العالم من حوله إلى فراغ موحش تتيه الذات في زواياه الخاوية محملة بشعور واحد لم يعرفه الشعراء حتى أيام الاستعمار، إنه الشعور بالحزن"[9].
- ✓ **المقاومة والانبعاث**، فرغم وصول الأحداث لمنعطفات خطيرة تهدد حياة الشعراء، إلا أنهم رفعوا لواء المقاومة من خلال نصوصهم الشعرية الحافلة بهذه الخاصية، يقول الشاعر نور الدين درويش:

لست أخشاك
عجل أيا قاتلي
أطلق النار
اقرأ على جسدي آية البطش
ولكنني صرت عنقاء...
أولد من رحم الموت[10]

اتجه الشعراء إلى مختلف الآليات الفنية والتقنية للشعر كالرمز والأسطورة للتعبير عن قيم إنسانية محددة متخذين من هذه الرموز أقنعة للتخفي بسبب الظروف السياسية والدينية السائدة آنذاك والتي لم تكن تسمح للذات الشاعرة بالجهر بالموقف والفكرة فيستحضر الشاعر أسطورة العنقاء وما تحمله من دلالات الموت والانبعاث والتجدد، مستغلا طاقتها الرمزية من الولادة إلى الموت، ثم إلى الانبعاث والتجدد ويصور النص روح الانبعاث التي عمت الوطن الجزائري، ثم يبحث عن ميلاد جديد للأمة في ظل الطهر والصفاء والتخلص من الخطايا. كما تطرق عديد الشعراء إلى

موضوع الأزمة على غرار الشاعر يوسف وغليسي في ديوانه "أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار" والشاعر حسين زيدان في ديوانه "شاهد الثلث الأخير" وغيرهم.

تفاعل الشاعر الجزائريّ مع محنة بلاده في التسعينات، كلّ بمنظوره الخاص، وقد ظهرت نخبة من الشعراء الجزائريين بعد تلك المرحلة الصعبة تحمل المأساة المتراكمة في الذاكرة، وأنتجت أدباً سمّي **بأدب المحنة** أو **الأدب الاستعجالي** إذْ فاضت قرائحهم معبّرةً عن الآلام والمآسي التي عاشها الشاعر ككلّ مواطن جزائري، فقد تكبّد المثقّف في التسعينات كلّ أنواع التحدّيات والصراعات الطويلة والعنيفة مع الكتابة و الأزمة.

أمام ذلك الوضع ظهرت تلك النخبة فتناولت الظاهرة بالوصف والتحليل، فهبّ العديد من الشعراء إلى نظم محاولات شعرية تصوّر واقعهم وتنقل مشاهد الأزمة، وكان أنْ ظهر إلى الوجود شعر جزائري يغلب عليه طابع الحزن والنقد والثورة على الوضع.

كانت المشاهد الدامية تتزاحم على الشعراء فتناولوا القلم للملمة جراح وطنهم مواسين كلّ من عضّته مخالب الأزمة – وإنْ كان كلّ جزائري قد عاش تلك المحنة– فهي أزمة عميقة وجراحها أعظم، ومن تلك الأصوات التي انطلقت آنذاك "عز الدين ميهوبي"، "يوسف شقرة"، "سامية زقاري"، "باديس سرار"، "شارف عمر" وغيرهم نظم هؤلاء قصائد صوّرت مأساة شعبهم، فسمّيت تلك القصائد" **القصائد السوداء** "لأنّها تعالج مواضيع الألم الذي عاناه المجتمع الجزائري في العشرية السوداء جرّاء ظاهرة الإرهاب وما خلّفته من نكبات وعنف سياسي خطير، فكان شعر الحقبة السوداء مبرِّراً لواقع الأزمة بين التفسير السياسي والاجتماعي والديني والثقافي والاقتصادي، وكان لابدّ للشاعر من صوت وسلاح يدافع به عن ضحايا ذلك الوضع.

اتّخذ شعراء القصيدة السوداء من المجلاّت والجرائد (الشروق، الخبر، الشعب، النصر...) منبراً يبوحون فيه عن قرائحهم في ظلّ غياب دور النشر تزامناً مع مرحلة الأزمة، ف"أحمد شنة" مثلاً نظم قصائد ديوانه " طواحين العبث" سنة 1993 لكنّه ظلّ حبيساً لدى صاحبه بسبب ظروف البلاد التي وقفت حاجزاً أمام دور النشر.

كانت صور الإبداع الشعري ملاحمَ تملؤها رائحة الجرم والفناء، وكانت الثقافة عموماً ضحيّة الترهيب والإرهاب إذْ أُغلقت دور الثقافة وأُزهِقت أرواح الكثير من شخصياتها.

ومن نماذج أدب المحنة ما جاء على لسان الشاعر "فاتح علاق" الذي عبّر عن حال بلاده الممزّقة بين فصائل متناحرة على مناصب سياسية وبين معتدين على مصالح المواطن البائس المضطهَد الفارّ من الاعتداء فيقول:

هذا الزمن نعل
من كان يؤمن بالهوى قد ضلّ
من كان يعبد عقله فالعقل ظلّ
أو كان يعبد صمته فالصمت تلّ
قُتل الفتى ما أكفره.

آيات من كتاب السهو

–أمّا الشاعر "أحمد شنة" فيصف زمن المحنة وما آلت إليه الجزائر من مآسي ومناكب تُسلَّط يومياً على مواطن أعزل، فراح يلعن مرارة الشتات والتمزّق والموت، والدمار، طالباً من شعبه التمرّد علة واقعه والتطلّع إلى أمل النجاة قائلاً:

تكلّمْ ...بما تستطيع
أمام المدينة مات الربيع
وذابت رموش الصبايا
ونامت عيون المطر
فلا تحك بعدي لهذا الصقيع
أساطير شعب جريح
ولا تنتظر
أنْ يعود إلينا القمر

طواحين العبث، ص 49

# مراجع المداخلة:


محمد ابن منظور: لسان العرب.

أبو القاسم جار الله الزمخشري: أساس البلاغة.

مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط.

محمد بنيس: الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته-4-مساءلة الحداثة.

أحمد سعيفان: قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية عربي-إنجليزي-فرنسي.

أحمد لعياضي: "جمالية الأسطورة في الشعر الجزائري المعاصر"، مجلة كلية الآداب واللغات.

عبد الغاني خشة: إضاءات في النص الجزائري المعاصر.

حسين تروش: الذات وخطاب الأزمة في الشعر الجزائري المعاصر.

نور الدين درويش: مسافات.

-موقع إلكتروني: الشعر الجزائري المعاصر: -http://elearning.univ-dbkm.dz/course/view.php?id=5543